# ٤- باب
# الدّعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وَقَوْلِ اللهِ - تعالى -: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:١٠٨].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ** - وَفِي رِوَايَةٍ: «**إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ**» -، **فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ**»[1]. أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ**»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟! فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**»،

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٤٩٦) وفي مواضع أخرى، ومسلم (١٩).

فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «**أُنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ أُدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ - تَعَالَى - فِيهِ. فَوَاللَّهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»(١).

«**يَدُوكُونَ**»، أَيْ: يَخُوضُونَ.

○○○

## الشرح:

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب آية وحديثين.

والكلام على هذا الباب في ثلاثة فصول:

* * *

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٠٠٩) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٢٤٠٦).

## الفصل الأول: مقصود الباب، وموضوعه العام

لما ذكر المصنِّفُ التوحيدَ وفضله وتحقيقه، وما يوجب الخوف من ضده، نَبَّه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرَف ذلك أن يقتصر على نفسه، فإن الرجل إذا علم وجب عليه العملُ، فإذا عَلِم وعمِل وجبت عليه الدعوةُ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، حتى يكون من ورثة الأنبياء وعلى طريقهم وطريق أتباعهم.

والدعوة إلى الله هي: الدعوة إلى توحيده والإيمان به وبما جاءت به رُسُله.

وأول ما يُبدأ به: الدعوة إلى التوحيد الذي هو معنى الشهادة، كما كان شأن المرسلين وأتباعهم. وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره[1].

و«لا إله إلا الله» هي كلمة التوحيد؛ فـ«الدُّعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله»، معناه: الدُّعاء إلى التوحيد.

* * *

(١) سيأتي من الأدلة ما يُبيِّن هذا ويؤكِّده، بإذن الله - تعالى -.

## الفصل الثاني: المباحث الموضوعية

### المبحث الأول: أهمية الدعوة إلى التوحيد، وأولويته:

النصوص في فضل الدعوة والحث عليها كثيرة مشهورة، كقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣].

- **ومما يدُلُّ على أهمية الدعوة إلى التوحيد، وأولويَّتِه: اتفاقُ الأنبياء على البدء بالدعوة إلى التوحيد:**

فقد كان الناس أمة واحدة على التوحيد، متفقين على الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عشرةَ قرون، حتى وقع الشرك الأول في قوم نوح. قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وأخرج الطبري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين»[(١)].

---

(١) تقدم تخريجه.

**وهكذا سار الرُّسُل بعد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يدعون إلى التوحيد:**

قال تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ [هود: ٥٠]، وقال: ﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ [هود: ٦١]، وقال: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ**﴾ [الشعراء: ٦٩-٧٠]، الآيات، وقال - جلَّ ذكره -: ﴿**وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ [هود: ٨٤].

ونبيُّنا ﷺ مكث عشر سنين، كلُّها في الدعوة إلى التوحيد، والنهي عن ضده، وهو الشرك. فلمَّا كثُرت التشريعات بعد ذلك لم تشغله الدعوة إليها عن دعوته ﷺ إلى التوحيد، وبقي على ذلك إلى أن لقِي ربَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وفي حديث أبي سفيان بن حرب مع هرقل أنه سأله: «**مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»(١).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ؛ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**»(٢).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٧) وفي مواضع كثيرة، ومسلم (١٧٧٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود مختصرا (٤٠٣١)، وأحمد (٥١١٥) واللفظ له، وصححه الألباني وأحمد شاكر.

وعن ربيعة بن عِباد الدِّيَلِيِّ - وكان جاهليا فأسلم- قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) تُفْلِحُوا ...**»(١).

وبوَّب البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد: «باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله - تعالى -».

وهكذا دعوة الأنبياء جميعا إلى توحيد الله - تعالى -، وإفرادِه بالعبادة، كما قال ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(٢).

والإخوة لعَلَّات هم الإخوة لأب؛ أبوهم واحد وأمهاتهم متعددات، وهكذا الأنبياء أصل دعوتهم واحد، وهو الدعوة إلى توحيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بينما شرائعهم مختلفة، ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة: ٤٨].

○○○

## المبحث الثاني: كيفية الدعوة (مراتب الدعوة):

دلَّت الآية الأولى التي ساقها المؤلف (وهي قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ**﴾ [يوسف: ١٠٨]) على أن الدعوة إلى الله - تعالى - لا بد أن تكون على بصيرة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (١٦٠٢٣) وفي مواضع أخرى، والطبراني في «الكبير» (٤٥٨٢)، وصححه الأرناؤوط.

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٤٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٣٦٥).

- **والبصيرة تتعلق بثلاثة أمور:**

**أولا: البصيرة بما يدعو إليه:**

وهذه تعني العلم بما يدعو إليه؛ إذ لا يصح أن يدعو المرء إلى شيء يجهله.

**ثانيا: البصيرة بحال المدعوين:**

ومن شواهد هذا: أنَّ النبي ﷺ لمَّا بعث مُعاذا إلى اليمن، قال له: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ ...**»؛ فنبَّهَهُ على حالهم، وأن عندهم كتابا وأثارة من علم، وليسوا كأعراب الحجاز؛ ليخاطبهم بما يناسب حالهم.

**ثالثا: البصيرة بكيفية الدعوة:**

وهذا يختلف باختلاف الأزمان والأماكن والأشخاص. فبعض الناس يناسبه الدعوة الفردية، وبعضهم يلائمه الوعظ، وآخر يحتاج إلى النقاش العقلي، وهكذا.

والحاصل أنه لا بُد من مراعاة هذه الأمور الثلاثة، وألَّا يدفعنا الحماس والعواطف إلى تقحُّم جبهات لا نملك سلاحها؛ كمقارعة أهل البدع والانحرافات الفكرية عبر وسائل الإعلام أو الإنترنت، دون التأهل الكافي لذلك الميدان من جهة العلم والبيان.

وأورد ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولَه تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ثم قال: «ذكر سبحانه مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو؛ فإنه:

إما أن يكون طالبا للحق راغبا فيه محبا له مُؤْثِرا له على غيره إذا عرفه: فهذا يُدعى بالحكمة، ولا يحتاج إلى موعظة ولا جدال.

وإما أن يكون مُعرِضا مشتغلا بضد الحق، ولكن لو عرفه آثره واتبعه: فهذا يحتاج مع الحكمة إلى الموعظة بالترغيب والترهيب.

وإما أن يكون مُعانِدا معارضا: فهذا يُجادَل بالتي هي أحسن، فإن رجع إلى الحق، وإلا انتُقِل معه من الجدال إلى الجِلَاد، إن أمكن. فلِمُناظرة المُبْطِل فائدتان:

أحدهما: أن يُردَّ عن باطله، ويرجع إلى الحق.

الثانية: أن ينكف شرُّه وعداوته، ويتبين للناس أن الذي معه باطل»[1].

* * *

(١) «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٢٧٦).

## الفصل الثالث: التعليق على النصوص، وربطها بالباب

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب ثلاثة نصوص: آية، وحديثين.

**النص الأول:** قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿**قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ**﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقوله - سبحانه -: ﴿**أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ**﴾: فيه الإشارة إلى الإخلاص، وقوله: ﴿**عَلَىٰ بَصِيرَةٍ**﴾: فيه إشارة إلى العلم، فجمعت الآية أهم ما يجب توفُّره في الداعية: الإخلاص، والعلم. وبيَّنت أن طريقة النبي ﷺ ومنهجه: الدعوة إلى الله على بصيرة. وبالنظر في سيرته وسنته نجد أنه ﷺ كان يعتني بالتوحيد ويُقدِّمه على غيره.

○○○

**النص الثاني:** حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ لَهُ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ» -، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ**

**أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»**[1].

وقوله ﷺ: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ ...**»: اللام في «**فَلْيَكُنْ**» للأمر، وهي تفيد الوجوب. وفيه النص على الأَوَّلِيَّة، والتقديم على غيره. وفي اللفظ الآخر: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ**».

وهذا خاصٌّ بغير المسلمين ومن وقعوا في شِرك أو عندهم خلل فيه؛ فيُبدأ معهم بالتَّوحيد. أمَّا إذا ذهب الإنسان إلى أُناس مسلمين مُوحدِّين ليس عندهم من مظاهر الشرك شيء، فلا بأس أن يَبدأ بما يحتاجونه من أمور العبادات والمعاملات والأخلاق وما إلى ذلك، مع التَّذكير بين الفَيْنَة والأخرى بقضايا ومسائل التَّوحيد.

○○○

**النص الثالث:** حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ**»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ، أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟! فَلَمَّا أَصْبَحُوا، غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**»، فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ. فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «**أُنْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ**

---

(١) تقدم تخريجه.

**بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ - تَعَالَى - فِيهِ. فَوَاللَّهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»**[1].

قوله ﷺ: «**ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ**»: فيه البدء بالدعوة إلى التوحيد؛ لأنَّ الدعوة إلى الإسلام دعوة إلى التوحيد؛ إذ الإسلام هو: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله.

وقوله ﷺ: «**وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ - تَعَالَى - فِيهِ**»، أي: في الإسلام. وأعظم حق لله - تعالى - في الإسلام: توحيده جل وعلا.

وقد سبق في أول الكتاب الكلامُ على حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**»[2].

وقوله: «**كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا**»: فيه حرصُ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الخير، واهتمامهم به، وعُلُوُّ مرتبتهم في العلم والإيمان، فينبغي الاقتداء بهم في التنافس في الخير، وعلو الهمة في طلبه.

وفي رواية لمسلم[3]: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**مَا أَحْبَبْتُ الإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ**».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجها مسلم في صحيحه، حديث رقم (٢٤٠٥).

وقوله ﷺ: «**حُمْرِ النَّعَمِ**»: بضم الحاء وسكون الميم، جمع أحمر. وهذه من أنفَس الإبل وأغلاها.

ومن فوائد الحديث: أنه يَبْعَث في نفس المسلم الحرص على أن يكون سببا في هداية الخلق، وهذا لا يكون بالأماني والكسل، وإنما بالجد والاجتهاد في طلب العلم، وفي نشره، ودعوة الناس إلى الخير والهُدى.

* * *

## ٥- باب
## تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله

وَقَولِ اللهِ - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧] الآيَةَ.

وَقَولِهِ: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦- ٢٧] الآيَةَ.

وَقَولِهِ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] الآيَةَ.

وَقَولِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآيَةَ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -**»[1].

○○○

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣)، من حديث طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

## الشرح:

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب أربع آيات وحديثا.

والكلام على هذا الباب في ثلاثة فصول:

* * *

## الفصل الأول: مقصود الباب، وموضوعه العام

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب تفسير التوحيد**»: المراد بالتوحيد - هنا -: توحيد العبادة، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: «**تفسير التوحيد، وشهادة أنَّ لا إله إلا الله**»: قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العطف هنا من باب عطف المترادفين؛ لأن التوحيد - حقيقة - هو شهادة أن لا إله إلا الله»(١).

وقال الشيخ صالح الفوزان: «لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبواب السابقة التوحيدَ وفضائله والدعوة إليه، والخوف من ضده الذي هو الشرك، بيَّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذا الباب معناه؛ لأن بعض الناس يخطِئ في فهم معناه، فيظن أنَّ معناه الإقرار بتوحيد الربوبية فقط، وهذا ليس هو المراد بالتوحيد، وإنما المراد به: ما دلت عليه النصوص التي ساق المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ طَرَفا منها في هذا الباب، مِن أنه إفراد الله بالعبادة، والخلوص من الشرك»(٢).

ومن تمام البصيرة في الدعوة: أن تفقَه التوحيد، وتفهم حقيقته قبل أن تدعو إليه؛ لتكون الأمور واضحة، فتنطلِق - على بركة الله - في ميدان الدعوة.

ولذا لو قُدِّم هذا الباب على الذي قبله لكان أنسب فيما يظهر.

* * *

(١) «القول المفيد» (١/١٤٣).

(٢) «الملخص» ص٦١.

## الفصل الثاني: المباحث الموضوعية

**هذا الباب يتكون من شقين:**

**الأول**: التوحيد. وسبق الكلام عليه.

**الثاني**: شهادة أن لا إله إلا الله. وسيكون الكلام عليها - إن شاء الله - في المباحث الآتية:

### المبحث الأول: معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله):

**معناها**: لا معبود بحق إلا الله.

فـ«**لا**»: نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ»، واسمها: «إله»، والخبر مقدَّر، تقديره: «حقٌّ»، ولا يصح تقديره بـ«موجود»؛ لأنه يوجد آلهة غير الله تُعبد، لكنها باطلة. قال تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ**﴾ [الحج: ٦٢].

وقد كان كفار قريش مُقِرِّين بتوحيد الربوبية في الجملة - كما سبق بيانه -، وإنما كانت الخصومة معهم في توحيد العبادة، ﴿**وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ**﴾ [ص: ٤ - ٥].

○○○

## المبحث الثاني: أركان كلمة التوحيد:

**لكلمة التوحيد ركنان تقوم عليهما:**

**الأول**: النفي، وهو في قولنا: «لا إله».

**الثاني**: الإثبات، وهو في قولنا: «إلا الله».

وهذا الأسلوب يسمى أسلوب القَصر، وهو من أقوى الأساليب في تقرير الكلام، ودَفْع ما قد يقع في نفس السامع من إنكار وشك.

○○○

## المبحث الثالث: فضل كلمة التوحيد:

هذه الكلمة كلمة عظيمة جليلة، قد تكاثرت فضائلها وعظُمت. ومن ذلك[1]:

**أولا: هي العروة الوثقى**: التي جاء ذكرها في قوله - تعالى -: ﴿**فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٦][2].

**ثانيا: هي كلمة الحق**: المُشار إليها في قوله - تعالى -: ﴿**إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ**﴾ [الزخرف: ٨٦][3].

---

(١) ينظر: كُتيب «لا إله إلا الله» للشيخ محمد الحمد.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ٤٢١)، و«الدعاء» للطبراني (١٥٦٥).

(٣) ينظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٨٦)، وتفسير القرطبي (١٦/ ١٢٢).

**ثالثا: هي كلمة التقوى**: التي ذكرها اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قوله: ﴿**وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا**﴾ [الفتح: ٢٦][(١)].

**رابعا: هي القول الثابت**: الذي ذُكِر في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ**﴾ [إبراهيم: ٢٧][(٢)].

**خامسا: هي الكلمة الطيبة**: المضروبةُ مثلا في قوله - تعالى -: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ**﴾ [إبراهيم: ٢٤][(٣)].

**سادسا: هي سبب الفوز بالجنة، والنجاة من النار**: ورد في ذلك أحاديث سبق طرف منها في «باب فضل التوحيد».

**سابعا: هي الغاية من خلق الجن والإنس**: كما دلَّ عليه قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: ٥٦].

**ثامنا: هي أول واجب على المكلف**: لقوله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ...**»[(٤)].

---

(١) ينظر: سنن الترمذي (٣٢٦٥)، ومسند أحمد (٢١٢٥٥).

(٢) ينظر: صحيح البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٥٦٧)، و«الدعاء» للطبراني (١٥٩٨، و١٥٩٩)، وغيرها كثير.

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

**تاسعا: هي الغاية التي لأجلها أُرسلت الرُّسُل، وأُنزِلت الكتب**. قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٢٥].

**عاشرا: هي أفضل الحسنات**: كما جاء عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي. قالَ: «**إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: «**هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ**»(١).

**حادي عشر: هي أفضل الذكر**: كما جاء في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ**»(٢).

**ثاني عشر: هي أعلى شُعَب الإيمان**: لما ورد في الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً -؛ فَأَفْضَلُها قَوْلُ «لا إلهَ إلَّا اللهُ»، وَأَدْناها إماطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ**»(٣).

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢١٤٨٧)، والطبراني في «الدعاء» (١٥٠٠)، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره.

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٣٨٣)، وابن ماجه (٣٨٠٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٩٩)، وحسنه الألباني والأرناؤوط.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) واللفظ له.

**ثالث عشر: هي السبب الأعظم لتفريج كُرُبات الدنيا والآخرة**: ولمَّا وقع نبيُّ الله يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الكرب، فأُلقِي في اليَمِّ، وابتلعه الحوت، وصار في ظلمات ثلاث، ما الذي أنجاه بفضل الله؟!

إنها كلمة التَّوحيد التي كان يلهَجُ بها وهو في بطن الحوت، ﴿**لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾، قال الله - تعالى -: ﴿**فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ**﴾، وانتبه إلى قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعدها: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧- ٨٨]، يعني أن هذا ليس خاصًّا بيونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، بل له ولمن بعده، وهذا مما يسُرُّ المؤمن، وهو من فضل الله - تعالى -.

ومن اللطائف في شأن هذه الكلمة؛ ما ذكره الشيخ ابن قاسم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «أحرُفها كلُّها جَوْفِيَّة، ليس فيها حرف شفوي؛ فيمكن قائلَها أن يقولها من غير فتحِ فَمِه، وهو أسلم وأبعد عن الرياء، وفي كونها جوفيةً - أيضا - إشارة إلى أنها تخرج من القلب. وأحرُفُها كلها مُهمَلة فتُنْبِئ عن التجرُّد من كل معبود سوى الله»[1].

○○○

## المبحث الرابع: شروط كلمة التوحيد:

ذكر أهل العلم لها سبعة شروط، جمعها الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في منظومته «سلم الوصول»[2] فقال:

---

(١) «حاشية كتاب التوحيد» ص٣١.

(٢) البيتان (٩٤- ٩٥).

العِلْـــمُ واليَقِـــينُ والقَبُـــولُ والِانْقِيـــادُ فـــادْرِ مـــا أَقُـــولُ
والصِّـدْقُ والإخْـلاصُ والمَحَبَّـهْ وَفَّقَـــكَ اللهُ لِمـــا أَحَبَّـــهْ

**أولا: العلم، المُضاد للجهل:**

ومن أدلته قول الله - تعالى -: ﴿**فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ**﴾ [محمد: ١٩]، وعن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

**ثانيا: اليقين، المضاد للشك:**

ومن أدلته ما رَوَى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»(٢).

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ، فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ**»(٣).

**ثالثا: القبول، المنافي للرَّدِّ:**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣١)، وفيه قصة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٧)، وللحديث سبب ورود عظيم، فانظره في الموضع المذكور.

ومن أدلته قول الله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

**رابعا: الانقياد، المنافي للتَّرْكِ:**

ومن أدلته قول الله - جل وعلا -: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويُمكن أن يُفَرَّق بين القبول والانقياد، بأن القبول يحصُل باعتقاد بالقلب ونطق اللسان، أما الانقياد فيكون بالفعل.

**خامسا: الصدق، المنافي للكذب:**

ومن أدلته قول الله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(١).

والصدق يشمل صدق القلب، وصدق اللسان.

**سادسا: الإخلاص، المنافي للشِّرك:**

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

ومن أدلته قوله - تعالى -: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ**»(١).

وفي الصحيحين من حديث عِتبان أن النبي ﷺ قال: «**فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ**»(٢).

**سابعا: المحبة، المنافية للكُره:**

ودليلُها قوله - تعالى -: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

○○○

**المبحث الخامس: اشتمال «لا إله إلا الله» على أنواع التوحيد:**

إذا قال العبد: «أشهد أنَّ لا إله إلا الله»؛ فإنها تدل على توحيد الألوهية (العبادة) بالمطابقة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٩ و٦٥٧٠).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٢٥) وفي مواضع أخرى، ومسلم (٣٣).

وسبَق أنَّ توحيد الألوهِيَّة متضمِّن لتوحيد الرُّبوبية؛ لأن من عبَد الله وحده (أي: أفرده بالعبادة)، فإنه لا يمكن أن يعبده حتى يُقرَّ له بالرُّبوبية.

وكذلك فإن العاقِل لا يعبد إلَّا من علِم أنَّه مستحِقٌّ للعبادة؛ لما له من الأسماء والصفات العُلى، كما قال إبراهيم لأبيه: ﴿**يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا**﴾ [مريم: ٤٢]، وهذا من قُوة الحُجَّة التي أوتيها إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، كما قال تعالى: ﴿**وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ**﴾ [الأنعام: ٨٣].

فتبين أن هذه الكلمة تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الألوهية مطابقة، وتوحيدَي الربوبية والأسماء والصفات تضمنا[١].

* * *

(١) ينظر: «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (١/ ٨٢).

## الفصل الثالث: التعليق على النصوص، وربطها بالباب

**النص الأول:** قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، الآية.

يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها، وهو قوله - تعالى -: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦].

وقوله - تعالى -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: يُراد به المعبودون، وهو مبتدأ، وخبره: ﴿يَبۡتَغُونَ﴾، والضمير في ﴿يَدۡعُونَ﴾ للكفار، وفي ﴿يَبۡتَغُونَ﴾ للمعبودين. و﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: ما يُتقرَّب به، وأعظم القُرُبات: التوحيد الذي بعث الله به رسله.

فيكون معنى الآية: أولئك المعبودون من أهل الصلاح - الذين يعبدهم الكفار ويتعلَّقون بهم - يبتغون إلى ربهم كل وسيلة تقربهم إليه.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعُوًّا، وذلك المدعُوُّ يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته ويخاف عذابه! وهذا موجود في الملائكة والجن والإنس»[1].

(١) «الرد على البكري» (٢/ ٥٣٨).

**ومناسبة الآية للباب:** أنها اشتملت على الثناء على صالحي عباده بأنهم يبتغون القُربة إلى الله وحده دون غيره. ووجه الحصر تقديم الجار والمجرور في قوله - تعالى -: ﴿**إِلَىٰ رَبِّهِمُ**﴾. وإذا كان هذا حالَ المعبود فينبغي للعابد أن يقتدي ويتأسىَّ بهذا المعبود؛ هذا هو المقصود[1].

○○○

**النص الثاني:** قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ...**﴾[الزخرف: ٢٦- ٢٧]، الآية.

وتتمة الآية قولُه تعالى: ﴿**إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ ...**﴾ [الزخرف: ٢٧- ٢٨]، والكلمة هي: لا إله إلا الله، بإجماع أهل العلم[2]. وهذه الآية فيها معنى لا إله إلا الله مطابقة.

وقوله: ﴿**إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ**﴾: نفيٌ يقابلُه «لا إله»، وقوله: ﴿**إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى**﴾: إثبات يقابلُه «إلا الله».

○○○

(١) ينظر: «التمهيد» للشيخ صالح آل الشيخ ص٧٩، وقال الشيخ ابن عثيمين في «القول المفيد» (١/ ١٤٥): «مناسبة الآية للباب فيها شيء من الخفاء».

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢٢٥).

**النص الثالث:** قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿**ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ...﴾ [التوبة: ٣١]، الآية.

والأحبار هم العلماء، والرهبان هم العُبَّاد، جعلوهم مُشَرِّعين في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل، فصاروا بذلك أربابا؛ لأن التشريع من خصائص الربوبية، كما أن العبادة من مستحَقَّاتها. وفسر رسول الله ﷺ هذه الآية لعدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «**يُحِلُّونَ لَهُمْ ما حَرَّمَ اللهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ ما أَحَلَّ اللهُ فَيُحَرِّمُونَهُ، فَتِلْكَ عِبادَتُهُمْ لَهُمْ**»(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا شرك الطاعة، وهو بتوحيد الربوبية ألصق من توحيد الألوهية؛ لأن الحكم - شَرْعِيًّا كان أو كونيا - إلى الله - تعالى -؛ فهو من تمام ربوبيته»(٢).

فالتحليل والتحريم لله - تعالى -، ومن جعلهما لغيره وأطاعه في ذلك، فقد اتخذه شريكا مع الله.

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي في سننه (٣٠٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١١٦/١٠) واللفظ له، وحسنه الألباني.

(٢) «القول المفيد» (١/ ١٦٠). وقال الشيخ صالح آل الشيخ في «التمهيد» ص٨٣: «الربوبية هنا هي: العبادة».

وقد عقد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بابا في هذا الكتاب، فقال: «باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه، فقد اتخذهم أربابا من دون الله».

○○○

**النص الرابع:** قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ** ...﴾ [البقرة: ١٦٥]، الآيةَ.

هذه الآية أفرد لها المؤلف بابا مستقلا، سيأتي إن شاء الله.

وجاءت هذه الآية في سياق الذم والإنكار لمن اتخذ نِدًّا يحبه كحب الله، محبةَ العبودية المقترنة بالذل والتعظيم. ويُعرف التوحيد من جهة المقابلة بأن يُفرد الله وحده بهذه المحبة.

○○○

**النص الخامس:** حديث طارق بن أشيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -**»[1].

هذا لفظ مسلم، ولفظه في مسند أحمد: «**مَنْ وَحَّدَ اللهَ - تَعَالَى -، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ -**»[2].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «المسند» (ح: ١٥٨٧٥).

فيؤخذ منه تفسير التوحيد بـ «لا إله إلا الله»، والكفر بما يعبد من دون الله. فمن قال: «لا إله إلا الله»، واعتقد أن دين اليهود أو النصارى صحيح؛ فهذا ليس بمُوحِّد.

وعلَّق المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الحديث في المسائل، فقال: «وهذا من أعظم ما يُبَيِّن معنى «لا إله إلا الله»؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له! بل لا يحرُم ماله ودمه حتى يُضِيفَ إلى ذلك الكفر بما يُعْبَد من دون الله. فإن شك أو توقف لم يحرُم مالُه ودمُه.

فيا لها من مسألة ما أعظمَها وأجلَّها! ويا له من بيان ما أوضحَه! وحجةٍ ما أقطعها للمنازع!»[1].

ثم قال الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق نصوصَ البابِ: «وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب».

والترجمة هي: العنوان. يعني: أن شرح عُنوان هذا الباب فيما يأتي من الأبواب القادمة؛ فموضُوع الكتاب في تفسير التوحيد ولوازمه، وذِكر ما يضادُّه أو يُضاد كماله، أو يكون وسيلة إلى ما يضاده، وهو الشرك.

---

(١) «كتاب التوحيد» ص١٤٠.

فما سبق من الأبواب تمهيدٌ وتوطئة؛ لبناء قاعدة تأصيلية في هذا العلم، ثم تأتي مسائل هذا العلم في الأبواب القادمة.

* * *